

مجلة الأعرابي

إعادة اكتشاف مفكر عربي حديث :

طنطاوى جوهري

الذي عرفه الغرب ونسبناه !

العدد ٣
من المجلة
العربية
للعلوم الإنسانية
صدوره بالكويت



● أحدث وآخر «يوتوبيا» عربية !
● أكبر تفسير معاصر بعد تفسير محمد عبده !
● تجديد علوم العربية .. بدأ في القاهرة

المفكر الكبير التي اتسعت لاستيعاب الثقافة العربية الإسلامية وعلومها الدينية المختلفة والثقافة العصرية من : فلسفة وعلوم رياضية وطبيعية متعددة التي تظهر لنا من خلال كتاباته التي تجد فيها أسماء لابلاس ودارون وايفري وكانط مع أسماء الغزالي وأخوان الصفا وابن خلدون . وتوضح كتابات طنطاوى جوهري مدى اتساع ثقافته وتنوع مصادره الفكرية التي تمثلت في مؤلفاته الكثيرة سواء تلك التي كتبت خصيصاً لطلابه في دار العلوم أو الجامعة المصرية القديمة أو المدارس المتعددة التي عمل بها . كذلك في محاضراته المطبوعة وكتبه المؤلفة وترجماته التي نستطيع عند تحليلها قراءة الخطاب الطنطاوى

وتسارع فنقول : أن مجمل كتابات المفكر المصري ذات أساس فلسفي عقلاني يبنى عليه . ويتفرع منه الخطاب النهضوي الذي يوضح جوانب تفكيره المختلفة التي كانت نتيجة ارتباط موقفه النظري بظروف العصر واشكالياته المختلفة الدينية الإصلاحية والتي تنطلق أساساً من موقفه السياسي والاجتماعي كأحد دعاة الحزب الوطني وأحد كتاب جريدة اللواء المعبر عن اتجاهها الوطني الإسلامي كما تمثل في كتابه « نهضة الأمة وحياتها » و « نظام العالم والأمم » وغيرها . مما ميز ما قدمه طنطاوى جوهري عن غيره من مفكري هذه الفترة .

وقبل قراءة مشروع المفكر الإصلاحى النهضوي من خلال بيان أسس تفكيره ، فإن إشارة موجزة لكتابه التي تلقى الضوء على خطابه وتحدد محاوره .

إذا استبعدنا بعض كتابات طنطاوى جوهري مثل « الفرائد الجوهريّة في الطرق النحوية » و « منكرات في أدبيات اللغة العربية » و « جواهر التقوى في الأخلاق » أو حتى نحيها جانبا مؤقتاً باعتبارها ذات منحنى تحيبي

كتبت للطلاب . وكذلك إذا استبعدنا كتابه في « الأرواح » و « مראה العيباسة » أخت هارون الرشيد التي قبل أن روحها اتصلت به ليصبح أخطاء جرجي زيدان في بيان قصتها التاريخية . وذلك لاتجاهاتها المغالبة

د . أحمد عبد الحليم عطية
جامعة القاهرة

فإننا نجد أن تأليفه كلها رغم تعدد موضوعاتها يجمعها اهتمام واحد يسرى في كل أجزاءها وكانها مجلد واحد أو سفر ضخم صدر في أجزاء متعددة . ويؤكد ذلك رأي الجمعية الأسيوية الفرنسية في كتابه « نظام العالم والأمم » أو الحكمة الإسلامية العليا

ويرتبط بهذا الكتاب رسالة « الزهرة في نظام العالم والأمم » وهي دراسة مترجمة عن الإنجليزية نقلها عن اللورد ايفري السيرجون لوبوك (١٨٣٤ - ١٩١٣) الذي تأثر به كثيراً في كتاباته . ويتناول في هذه الرسالة عالم النبات والزهور وكل ما يتعلق به وتوضح هذه الرسالة اهتمامه بالطبيعة وتاملها ذلك الاهتمام الشعري الرومانسي الذي سيطر على أجزاء متعددة من كتاباته التي يغلب عليها التامل ، ويعد تأمل الطبيعة سمة أساسية في تفكيره . وسيوضح كلما تعمقنا البحث - بل أن كتبه في التفسير تهتم في الأساس - كما يبدو من تحليلها - ببيان مقاصد الإسلام ونظام العالم كما يظهر في كتابه « التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم » الذي يقسمه إلى اثنين وخمسين باباً أو « جوهرة » كل منها تفسر آية من آيات القرآن الكريم على ضوء ما كشف عنه العلم الحديث ويلاحظ في هذا الكتاب أنه استخدم العرض الموضوعي لآيات القرآن الكريم وشرحها حسب موضوعاتها . ويظهر في هذا الكتاب المنحنى التوفيقي الذي اتخذه المؤلف بين القرآن من ناحية والفلسفة اليونانية والعلوم الحديثة من ناحية ثانية . والكتاب دعوة صريحة للإسلام موجهة إلى مؤتمر الأديان باليابان سنة ١٩٠٦ وقد ترجم إلى لغات عديدة منها اليابانية والفارسية والهندية والروسية .

للبحث بقية

عرف الشيخ طنطاوى جوهري بالقباب متعددة ، وكان الغالب عليه لقب الفيلسوف الحكيم الذي كان يميل له ، وكان يسبق اسمه دائماً على أغلفة كتبه . فقد طبعت مطبعة الرشيدات بالإسكندرية « محاضرات بين العلم والسياسة » أولها للأستاذ الفيلسوف الشيخ طنطاوى جوهري . ودارت محاضراته التي القاها بدار نقابة المعلمين حول « الفلسفة عند العرب » وقدمها الناشر بانها « محاضرة الأستاذ الحكيم والفيلسوف الكبير الشيخ طنطاوى جوهري » .

ومثل هذا التقديم جاء على غلاف كتابه « السر العجيب » تأليف الأستاذ الفيلسوف الشيخ طنطاوى جوهري المدرس بمدرسة دار العلوم . وكتب على جوهري الشعر والتعريب : وهي جملة قطع من النظم مشهورى شعراء الإنجليز ، كسأها حلة الشعر العربي حضرة الحكيم العالم الأستاذ الشيخ طنطاوى جوهري . وقد حدد على الجميل هدفه من الكتابة عن « ذكرى طنطاوى جوهري » بأنه يريد تقديم « سيرة فيلسوف الإسلام في العصر الحديث » ويرى عبد العزيز جادو في دراسته عن الشيخ طنطاوى جوهري : « أن الفيلسوف الحكيم في مقدمة هؤلاء الأعلام من رجال الفكر العصريين الذين لا تزال إلى اليوم نذكرهم بكل اجلال وبكل تبحر وابتكار » . وهو عنده « فيلسوف من فلاسفة القرن العشرين ومصطلح ديني مجدد تقدمي » . وقد جاء فيما نشرته عنه الجمعية الأسيوية الفرنسية « أنه فيلسوف حكيم بقدر ما هو عالم دين » .

ولقبته جريدة مصر الفتاة في عددها ٢٤٣ الصادر في ١٥ نوفمبر ١٩٥٩ « بأنه فيلسوف مصر » .

وهو عند محمد عبد الجواد صاحب تقويم دار العلوم « عالم أدبي فيلسوف » وعند سنيتلانا المستشرق الإيطالي هو « أحد رؤساء الحركة السياسية والاجتماعية التي انتشرت في طبقات الشعب الإسلامي يعني المصري كافة تحت اسم الجامعة الوطنية » . وكذلك أشاد به مارجوليوت في مجلة الجمعية الأسيوية (المكية ١٩٣٧) مقارناً بينه وبين كانط . وهو نفس ما فعله جب (المقلم ٨ يناير ١٩٢٨) وريتشارد هارتمان الذي ربط بينه وبين محمد عبده والغزالي وهو نفس ما فعله أيضاً البارون كاراديفو في كتابه مفكر الإسلام . ويرى الدكتور محمد يوسف موسى « أنه يستحق من الشجدة أكثر مما يستحق الإمام محمد عبده لولا أن زملاءه وأخوانه جهلوه ، وعجزوا عن نصرته عندما تقدمت الدوائر العلمية لترشحه لنيل جائزة نوبل كأول مصري يرشح لهذه الجائزة (الجمهورية ٢٩ يناير ١٩٥٦) .

لقد تناولت القراءات السابقة - في الماضي القريب - كتابات الكاتب والمفكر العربي المسلم ، الذي أطلق عليه « الشيخ الفيلسوف والأستاذ الحكيم » طنطاوى جوهري ، من نواح جزئية مختلفة . وقدمته في صور كثيرة كادت أن تتناقض . أو على أقل تقدير تضع أفكار الرجل في مواقع متباينة ولا تتلقى عند ملامح معينة ينسب بها تفكيره وكتاباته هذا المفكر الجاد الطموح عزيز الإنتاج ، الذي نتوقف الآن أمام مشروعه الفكري وخطابه الفلسفي الإصلاحى ، ويوتوبياها العالمية ، محاولين تقديم قراءة جديدة له . ورغم تعدد القراءات السابقة التي تدل على أهمية الكاتب الفيلسوف ، إلا أن أيا منها لم تقدم صورة متكاملة أو رؤية شاملة لأفكار المفكر الإصلاحى الذي قورن دوماً بالشيخ محمد عبده بل عد عند البعض أكثر جذرية منه . ومن هنا علينا إعادة النظر في نتاجه الفلسفي من أجل تقديم قراءة جديدة له .

١- عرف الشيخ في بعض هذه القراءات بالمفسر . حيث أبرز كل من محمد حسين الذهبي (التفسير والمفسرون) ومصطفى الحديدي (اتجاه التفسير في العصر الحديث) وعبد المجيد عبد السلام (اتجاهات التفسير في العصر الحديث) وبنيت الشاطي (القرآن والتفسير العصري) ، الناحية الدينية في خطابه . اعتماداً على أهم وأضخم إنجازاته « الجواهر في تفسير القرآن » وما يرتبط به من كتابات مثل « التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم » و « القرآن والعلوم العصرية » . حيث يعد تفسيره موسوعة علمية ضربت في كل فن من فنون العلم مما جعل هذا التفسير يوصف بما وصف به تفسير الرازي « فالشيخ كما يرى الذهبي معروف بتفسير القرآن على نمط علمي اختصه لنفسه ، لم يسبقه إلى مثله ولم يقلده فيه أحد » . فهو يبدأ بالتفسير اللفظي للآيات ثم يتلوه بالشروح والأيضاحات والكشف كما يقول عبد المجيد عبد السلام « أي أنه يشرح متوسعاً في الفنون العصرية المتنوعة » . وكانت صورة المفسر تلك - في هذه القراءة - من أهم الجوانب في كتابات الشيخ التي أشار إليها وأشاد بها معظم من كتب عنه - فهي غير تقليدية وغير مسبوقه - نجد ذلك لدى علي الجمبلاطى الذي رأى منه « عالماً في طليعة أولئك الناظرين البصراء إلى حقائق زمانه .. الذي آمن إيمان الدين المتين أن التقدم العصري - رهين العلم » . وكتب رجاء النقاش مقالين عن « القرآن والفكر الجديد » : « تفسير للقرآن بالخرائط والصور » و « حول تفسير القرآن » ، وأضواء جديدة على عالم كبير مجهول (المصور القاهرة نوفمبر ١٩٧٢) تحدث فيهما عن تفسير الجوهري الذي يقف متميزاً بمنهجه الخاص اللامع بين جميع تفاسير القرآن « فالشيخ هو أحد علماء الدين البارزين وواحد من المفكرين النابغين في هذا العصر برغم أنه لم يحظ بما يستحق من الدراسة والاهتمام » . ويرى محمد عبد الجواد أن علم الرجل لا ينحصر في دائرة محدودة .. وكتابه الموسوم بالجواهر موسوعة علمية إسلامية حديثة أكثر فيه من الكلام عن العلوم الحديثة كالفلك والنبات والحيوان . وأشار عبد العزيز عطية - في نفس تقويم دار العلوم - إلى أن أكثر مثل الشيخ كان متجهاً إلى الإصلاح الدينى والاجتماعى وكان أكبر همه أن يذيع في العالم رسالة السلام عن طريق تعاليم الإسلام وكتب في نفس المعنى عبد المنعم البحيرى في مجلة الوعي الإسلامى مبيناً كيف استطاع الشيخ أن يقدم صورة لتعاليم الإسلام السحة في دعوته إلى المحبة والسلام .

ومقابل تلك الصورة الدينية التي عرضت للشيخ ضمن « اتجاهات التفسير في العصر الحديث » سواء في شكلها التقنيدي لدى من تناوله في إطار « التفسير والمفسرون » أو في الدراسات العصرية التي ربطت لديه بين الدين والعلم الحديث . فإن هناك صورة أخرى وقراءة ثانية له كرائد من رواد البحث الروحي اعتماداً على كتابه « الأرواح » الذي يدافع فيه عن علوم الروح محاولاً التوفيق بين الآراء الدينية والصوفية وشبهاتها في العلوم الروحية الحديثة . ويقدم لنا هذه الصورة كل من : عبد الجليل راضى « مجلة الروح » ورووان عبيد في كتابه « مفصل الإنسان روح لا جسد » فهو عنده رائد من رواد الروحية وأبرز علمائها العرب الحديثين . وكذلك يكتب عنه أيضاً كل من عبد اللطيف الدمياطى في « الوساطة الروحية » وعبد العزيز جادو الذي كتب عنه أكثر من دراسة فقد تناوله في البداية بالتعريف والتاريخ له ولحياته وريادته الروحية في كتابه « الروح والخلود بين العلم والفلسفة » ثم خصص فصلاً هاماً عن الشيخ طنطاوى جوهري الرائد الروحي في كتابه عنه . ونشرت جريدة الجمهورية في يناير ١٩٥٦ مقالا بتوقيع مستعار عن « طنطاوى جوهري الرائد الروحي » .

وتمثل هذه الكتابات السابقة جوانب متعددة من اهتمام المفكر الدينى وتظهره علماً مفتوناً بدراسات الباراسيكولوجى متعلقاً بأهداب الغيبيات مؤمناً بعالم الأرواح .

تحضيرها والاتصال بها والانقياد لأوامرها يكتب ما تمنيه عليه وما تشير له به . يخوض المعارك الفكرية والتاريخية انطلاقاً من إيمانه بها فيكتب عن براءة العيباسة أخت هارون الرشيد رداً على ما كتبه جرجي زيدان عنها . وربما لا يكتفى بالتأليف والكتابة بل يصبح أحد أعضاء جمعيات الأرواح بل رائداً من روادها .

وهناك قراءة أخرى توقف أصحابها أمام الجانب الأدبي عند الكاتب الأديب طنطاوى جوهري . هذه القراءة تجد لها لدى محمد حسين الذهبي يضع الشيخ داخل الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر الذي كانت لديه ثقة كبيرة بنهضة المسلمين واستعدادهم مجدهم : عمارتهم الأرض وإصلاحهم ما آل إليه أمرها من فساد واضطراب وكانت هذه الفكرة تنزل من نفسه منزلة اليقين التي لا يخامر فيه شك .

وربما تجد هذه القراءة ما يؤكد لها ليس في كتب الشيخ الأدبية مثل : « منكرات في أدبيات اللغة العربية » و « سوانح الجوهري » و « جوهرة الشعر والتعريب » ، بل أيضاً في كتاباته الأخرى التي يتحدث فيها عن الطبيعة الإنسانية ، مثل كتبه عن : « الزهرة في نظام العالم والأمم » ، « نظام العالم والأمم » و « جمال العالم » و « جواهر العلوم » الذي وضعه على هيئة رواية مثل كتابه « أين الإنسان » .

لذا فإننا نجد قارئه - كما يقول علي الجمبلاطى - لا يتعثر في لفظه ولا يستصعب فكره كأنه قاص يقص عليك أمثع القصص وأغرب الوقائع . وتلك نفس القراءة التي يقدمها محمد عبد الجواد في تقويم دار العلوم حيث يراه « حاضر الذهن » ، واضح الحجة كثير الاستشهاد بالخصوص كثير الإطلاع ، أوتي من فصل المقال ما يعز على كثير من أهل اللسان والفتحة » . وقد بين عبد العزيز أن الشيخ يعد أن روى من معين العربية وكوثر العلوم الشرعية والفقه الأكبر وكثير من روى من معينه في معجم الأرض . ويجعله عبد العليم القباني من رواد الشعر السكندري « فقد كان الشيخ يعمل مدرساً بمدرسة رأس التين الثانوية وكان يلقي تلاميذه بعض الأفكار الثورية في قضاة من نظمه .

ولا تعطى تلك القراءات الجزئية - رغم أهميتها - الصورة المتكاملة لجهود